



جَامِعَةُ الْقَاهِرَةِ

# المحاضرات العامة

في العام الجامعي ٥٨ - ١٩٥٩

١

# رمضان في الأدب

للأستاذ علي الجندي

العميد السابق لكلية دار العلوم والأستاذ بها الآن

---

محاضرة أقيمت بنقر الجمعية الجغرافية المصرية  
مساء يوم الثلاثاء الموافق ١٠ مارس سنة ١٩٥٩

---

مطبعة جامعة القاهرة

١٩٥٩

## بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى  
لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) .  
« قرآن کریم »

---

« لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ : فَرْحَةٌ عِنْدَ إِفْطَارِهِ ،  
وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ » .  
« حدیث شریف »

# رمضان في الأدب

للأستاذ على الجندی

العمید السابق لكلية دار العلوم والاسئاذ بها الان

## اشئاقه :

الرمض بوزن سبب : شدة الحر ؛ تقول رمض يومنا يرمض رمضا من باب « فرح » : اشئد حره •

والرمض أيضا : شدة وقع الشمس على الرمل وغيره ، وحر الحجارة من شدة حر الشمس •

والرمضاء كحراء : شدة الحر ، والأرض الشديدة الحرارة ، ومن ذلك قول الشاعر :

كالمستجير من الرمضاء بالنار

وقد اختلف في اشئاقه ، فقيل : انه من الرمض - وهو شدة الحر كما تقدم - قال ابن دريد لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة العربية أسموها بالأزمنة التي وقعت فيها ، فوافق رمضان أيام رمض الحر وشدته فسمى به ، ثم كثر استعمالها في الأهلة وان لم توافق ذلك الزمان •

ويقال : ان أول من سماها بهذه الأسماء كلاب بن مرة من قريش •

وكان اسم رمضان في الجاهلية « ناتقا » بلا « ال » لكثرة الأموال التي كانت تجيئها العرب فيه • ومن المجاز امرأة ناتق : نفقت بطنها : أى أكثرت عيالها ؛ قال الشاعر :

أبى لهم أن يعرفوا الضيم أنهم بنو ناتق كانت كثيرا عيالها

وحكى الماوردي : أنه سمي « ناتقا » لأنه كان ينتقم : أى يزعمهم اضجارا بشدته عليهم •

• وفي مروج الذهب للمسعودي : أن ناتقا هو « المحرم » •

ولكن يلاحظ أن الفلكيين يقولون : ان التسمية الجديدة للشهور وقعت في الخريف ، وهو ليس شديد الحر !

ويرى بعضهم : أنه مأخوذ من رمض الصائم ، وهو حر جوفه من شدة العطش ، أو لأنه يرمض الذنوب : أى يحرقها بالأعمال الصالحة من الارماض ، وهو الاحراق ، وقد جاء في الحديث الشريف « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » •

وقيل : لأن القلوب تأخذ فيه من حرارة الموعظة والتفكر في أمر الآخرة ، كما يأخذ الرمل والحجارة من حر الشمس •

وقيل : هو من رمضت النصل أرمضه رمضا : اذا دققته بين حجرين ليرق ! سمي بذلك لأنه شهر مشتقة ، يذكر الصائمين بما يقاسيه أهل النار فيها •

وقيل : لأنهم كانوا يرمضون أسلحتهم فيه « يرققونها » ليحاربوا بها في شوال قبل دخول الأشهر الحرم •

وقيل : انه اسم « من أسمائه - تعالى - فيكون غير مشتق ، أو يكون مشتقا راجعا الى معنى الغافر : أى يمحو الذنوب ويمحقها •

ويلاحظ أن بعض هذه التعليقات ترجع الى ما بعد ظهور الاسلام ،  
والمعروف أن رمضان : اسم جاهلي •

وجمع رمضان : رمضانات ، ورمضانون ورمضانين ، وأرمضة كأسلحة ،  
وأرمض كأسقف •

وله أسماء كثيرة - عدا رمضان - بلغت الستين ، منها : شهر الله ، وشهر  
الآلاء ، وشهر القرآن ، وشهر النجاة ••

والمشهور في نطقه أن يسبق بلفظة شهر ، ومثله في ذلك ربيع الأول ، وربيع  
الآخر ، ورجب • ولا يذكر الشهر مع بقية الشهور تقول اتقضى شعبان ، وأقبل  
شهر رمضان •

وقد جاء في الأحاديث الصحيحة بدون لفظة شهر •

ومن الفوائد التي ذكرها القزويني في « عجائب المخلوقات » عن جعفر  
الصادق : أن خامس رمضان الماضي هو أول رمضان الآتي ، وقد امتحنوا ذلك  
خمسین سنة فوجدوه صحيحا •

وقد فرض رمضان في السنة الثانية من الهجرة ، وتوفي الرسول - عليه  
الصلاة والسلام - وقد صامه تسع مرات •

### رمضان في الأدب

لرمضان في الأدب العربي آثار عميقة خصيبة ، تطالعنا في النثر والشعر معا ،  
وتجلو على أعيننا صورا رائعة تنبض بالقوة والحياة ؛ منها المتزمت الخاشع ،  
ومنها المزور الحبي ، ومنها المرح الفكه ، ومنها المتحرر الماجن •

وجميعها تمثل لنا تمثيلا صادقا ما يختلج في نفوس الأدباء والشعراء من  
عواطف ومشاعر لهذا الضيف الملم ، كل على مقدار نصيبه من وثاقة الخلق ،

وقوة الارادة ، والاستجابة لدواعى الخير ، والانصياع للوازع الدينى ، ورعاية آداب المجتمع .

وليس هذا بعجيب اذا عرفنا : أن رمضان مرموق الطلعة بين الشهور العربية ، سنى المنزلة فى الشريعة الغراء ، عظيم الحرمة فى نفوس المسلمين ، يحمل فى ثناياه نواهى وأوامر ، ومواعظ وزواجر وفرائض وسنننا وآدابا لا يبد من مراعاتها ، ان لم يكن تمسكا بأهداب الدين ، وابتغاء الأجر والثواب ، فتصونا من مواقف التهم والريب ، ودرءا للمذمة واللوم ، وان وجد فى كل عصر من العصور طوائف من الخلعاء والمجان لا يخشون الله ولا يخشون الناس .

ومهمة الأدب الأولى أن يصور لنا هذه النوازع المختلفة ، ويعكس تياراتها على مرآته ، بما حملت من خير وشر ، ودر وزبد ، وهو فى الحق لم يقصر فى ذلك .

### ظاهرة واضحة :

على أن هناك ظاهرة واضحة جدية بأن يلتفت اليها ، وهى حرص جميع الطبقات فى العهود الخوالى على صوم رمضان أو التظاهر بصومه - والله أعلم بالسرائر - ثم لا يمنع ذلك بعضهم من أن يخلط عملا صالحا وآخر سيئا ، وبعض الشر أهون من بعض !

فالجراة الصارخة على انتهاك حرمة ، والمجاهرة بافطاره من غير عذر ، تعد من الفلتات النادرة ، فلم يقدم على ذلك الا آحاد من الناس لهم شأن خاص - كما سنبينه .

ويكفى للاحاطة بما كان لهذا الشهر من قداسة فى الزمن السالف أن نعرف أن أبناء الأديان الأخرى : كانوا يوقرون شعور اخوانهم المسلمين ، فلا يطعمون

ولا يشربون أمامهم نهارا • ويروى بعض المؤرخين : أن أحد المجوس رأى ابنه يأكل في رمضان ، فضربه ، وقال له : هلا حفظت حرمة المسلمين في رمضان !! •  
وبعض هؤلاء كان يصوم رمضان بالفعل كالأديب العظيم أبي اسحاق الصائبي •

ولم يتطرق الانحلال الى هذه العادة النبيلة ، الا بعد أن رأى غير المسلمين أن المسلمين أنفسهم لا يراعون حرمة الصيام ، فباتوا لا يرجون لهم وقارا ، والذنب لنا ، وصدق من قال :

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها هوانا بها كانت على الناس أهونا  
وليس من همنا في هذا المقال المحدود ، أن نستوفي كل هذه الآثار المتشعبة ، وتتعبها بألوان من التحليل والموازنة والاستنباط ، ولكن حسبنا أن نرسم خطوطا وملامح لهذا الأدب وما يتصل به ، مشفوعة ببعض الشواهد المختارة •

### آثار رمضان

فما اختطه هذا الشهر الكريم ما يأتي :

#### مواظظ رمضان :

١ - استفاضة الخطب والرسائل والمقطوعات الوعظية الحكيمة على لسان المتورعين والنسائك كما نرى في العصر الحاضر ، مما يسمى بأحاديث رمضان في الصحف والاذاعة •

فمن النثر قول سيد التابعين « الحسن البصرى » : ان الله - تعالى - جعل رمضان مضمار الخلقه ؛ يستبقون فيه بطاعته الى مرضاته ، فسبق قوم ففازوا ، وتخلف آخرون فخابوا !! فالعجب من الضاحك اللاعب في اليوم الذى يفوز فيه المحسنون ، ويخسر المبطلون !! أما والله لو كشف الغطاء لشغل محسن باحسانه ، ومسىء باساءته !! •

ومن الشعر ما كتب به أبو منصور الخزرجي الى بعض أصدقائه :

الصوم ضيف ثوى فداره      قد يُؤجر العبد وهو كاره  
واحمل على النفس في قراره      في ليلة منك أو نهاره  
فالضيف ماض غدا ، ومثن      عليك ان حطت من ذماره

وقول أبي بكر بن عطية الأندلسي :

لا تجعلن رمضان شهر فكاهاة      تلهيك فيه من القبيح فنونه  
واعلم بأنك لا تنال قبوله      حتى تكون تصومه وتصونه

وقوله :

إذا لم يكن في السمع منى تصاون      وفي بصرى غض وفي مقولى صمت  
فحظى اذن من صومى الجوع والظما      وان قلت: انى صمت يوما فما صمت

وقول آخر :

جاء الصيام فجاء الخير أجمعه      ترتيل ذكر وتحميد وتسبيح  
فالنفس تدأب في قول وفي عمل      صوم النهار وبالليل التراويح

ومن الشعر الحديث قول صديقنا الشاعر المرحوم محمد الأسمر :

رعى الله شهر الصوم أما نهاره      فغاف وأما ليله فهو ساهر  
وحييا رجالا حين لاح هلاله      مشت بينهم مشى النسيم البشائر  
بطان اذا ما الشمس أرخت قناعها      خماص اذا ما أقبلت وهى سافر  
خضوعا لمن فوق السموات عرشه      ويعلم منهم ما تكن السرائر  
هو الله فاعبده العبادة كلها      اذا راح يلهو بالعبادة فاجر



## أدعية رمضان :

٢ - كثرة الأدعية الجليلة الدقيقة المركزة التي تناسب فضيلة الصيام ، وما يستشرف اليه الصائمون من نفحات البركة والثوبة ، وقد حوت بعض كتب الأدب صدرا صالحا منها ، تقتطف منه مايلي :

ساق الله اليك سعادة اهلاله ، وعرفك بركة كماله • قسم الله لك من فضله ، ووفقك لفرضه ونقله • لقاك الله فيه ما ترجوه ، ورقاك الى ما تحبه فيما يتلوه • جعل الله ما أظلك من هذا الصوم مقرونا بأفضل القبول ، مؤذنا بدرك البغية ونجاح المأمول ، ولا أخلاك من بر مرفوع ، ودعاء مسموع • قابل الله - تعالى - بالقبول صيامك ، وبعظيم المثوبة تهجدك وقيامك • عرفك الله من بركته ما يربى على عدد الصائمين والقائمين ، ووفقك لتحصيل أجر المتجهدين المجتهدين •

أسأل الله - تعالى - أن يضاعفه بمنه لك ، ويجعله وسيلة بقبوله الى مرضاته عنك • أعاد الله الى مولاي أمثاله ، وتقبل منه أعماله ، وأصلح في الدين والدنيا أحواله ، وبلغه منهما آماله • أسعده الله بهذا الشهر ، ووفاه فيه أجزل المثوبة والأجر ، ووفر حظه من كل ما يرتفع من دعاء الداعين ، وينزل من ثواب العاملين ، وقبل مساعيه وزكاهها ، ورفع درجاته وأعلاها ، وبلغه من الآمال منتهاها ، وأظفره بأبعدها وأقصاها !!

ويتصل بذلك أدعية أدبية ، فيها فكاهة ومرح وانطلاق لايجافى الحد المقبول • من ذلك قول ابن العميد من رسالة : أسأل الله أن يعرفني بركته ، ويلقيني الخير في باقى أيامه وخاتمته ، وأرغب اليه أن يقرب على الفلك دوره ، ويقصر سيره ، ويخفف حركته ، ويعجل نهضته ، وينقص مسافة فلكه ودائرتة ، ويزيل بركة الطول عن ساعاته ، ويرد على غرة شوال ؛ فهي أسنى الغرر عندى ، وأقرها لعيني ، ويطلع بدره ، ويرينى الأيدي منتلبة هلاله ببشر ، ويسمعنى النعى - لشهور رمضان ، ويعرض على هلاله أخفى من السحر ، وأظلم

من الكفر ، وأنحف من مجنون بنى عامر ، وأبلى من أسير الهجر ، وأستغفر  
الله - جل وجهه - مما قلت ان « كرهه ، واستغفیه من توفيقى لما يذمه ، وأسأله  
صفحاً يفيضه ، وعفوا يوسعہ ، انه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور » .

وقفى بديع الزمان الهمداني على نهجه في رسالة بعث بها الى بعض أهل  
همدان ، وهى : كتابى - أطال الله بقاءك - عن شهر رمضان ، عرفنا الله بركة  
مقدمه ويمن مختتمه ، وخصك بتقصير أيامه ، واتمام صيامه وقيامه ، فهو  
- وان عظمت بركته - ثقيل حركته ، وان جل قدره ، بعيد قعره ، وان حسن  
وجهه ، فليس يقبح قفاه ، وما أحسنه في القذال (١) ، وأشبه ادباره بالاقبال ،  
جعل الله قدومه سبب ترحاله ، وبدره فداء هلاله ، وأمد فلكه تحريكاً ، بتقضى  
مدته وشيكا ، وأظهر هلاله نحيفا ، ليزف الى اللذات زفيفا ، وعفا الله عن مزح  
يكرهه ، ومجون يسخطه !!

### تهانى رمضان :

٣ - رفع التهانى بحلوله الى الخلفاء والأمراء والولاة والاخوان ،  
ولا يزال هذا الرسم مرعياً الى هذا العصر ، وسيدوم الى آخر الدهر ان شاء الله  
تعالى !! فمن ذلك قول الشريف الرضى - يهنى الخليفة « الطائع » العباسى - :

تهن قدوم صومك يا اماما      يصوم مدى الزمان عن الأثام  
اذا ما المرء صام عن الدنيا      فكل شهوره شهر الصيام

وقول عبد الصمد بن بابك - يهنى الصاحب بن عباد - :

كسك الصوم أعمار الليالى      وأعقبك الغنيمة فى المآب  
ولا زالت سعودك فى خلود      تبارى بالمدى يوم الحساب

(١) القذال بفتح القاف : جماع مؤخر الرأس .

ولابن الرومي أرجوزة طويلة فريدة في مبانيتها ومعانيها يهنئ بها  
ابن « يحيى » منها :

سيشكر الشهر لك الحرام  
ونبحت في وجهه اللئام  
فيهم عليه بالخنى اقسام  
ليس على أفواههم ختام  
بش به منك فتى بسام  
أبيض يستسقى به الغمام

أنتك لما هره الطغمام  
ولم يعظم حقه أقوام  
كأنهم من جهلهم أنعمام  
ولا لضيف عندهم ذمام  
طلق المحييا ما جد مقدام  
سامية همته هممام

وقول المطراني لبعض الرؤساء :

شهر الصيام جرى باليمن طائره  
ودام قصرك مرفوعا مجالسه  
ودام صدر عظيم أنت ماهده  
فأنت منظره الأبهى وناظره الأعلى

عليك ما جد باديه وحاضره  
لزائريه ، ومنصبوبا موائده  
وعش لملك عزيز أنت واحده  
ومنكبه الأقوى وساعده

شهر بر وانفاق :

٤ - إقامة المآدب الحافلة ، وصنع الأطعمة الفاخرة ، واطهار التجميل  
بالاسراف في الانفاق حتى من الطبقات المتوسطة والاكثار من الصدقة وأنواع  
البر .

وقد وصف الرسول - عليه الصلاة والسلام بأنه أجود الناس ، ولكنه  
كان في رمضان أجود بالخير من الريح المرسلة ، لا يسأل عن شيء الا أعطاه .  
وكان رؤساء الدول الاسلامية يتخذونه مجالا للافضال على المحاويج ،  
واطعام الفقراء ، وصلة الاخوان ، واجزال الهبات لذوى القربى والأرحام ، وكان

للخلفاء الفاطميين من ذلك الحظ الأوفر حتى ضربت بهم الأمثال ! ويضيق المقام عن ذكر أخبارهم التي طرزت بها أعلام التاريخ ، ويكفى أن نعلم أنه كان في أول يوم من أيام رمضان يرسل من دار الخلافة لجميع الأمراء وغيرهم من أرباب الرتب والخدم ، لكل واحد طبق ، ولكل واحد من أولاده ونسائه طبق فيه حلواء ، وبوسطه ، صرة من ذهب ، فيعم ذلك سائر أهل الدولة ، ويقال لذلك :  
غرة رمضان •

وممن كان يحتفل بهذا الشهر صاحب بن عباد ؛ يقول أبو الحسن النحوى : سمعت صاحب بن عباد يقول : حضرت مجلس ابن العميد عشية من عشايا رمضان ، وقد حضرت الفقهاء والمتكلمون للمناظرة - وأنا إذ ذاك في ريعان شبابي - فلما تقوض المجلس ، وانصرف القوم وقد حل الإفطار ، أنكرت ذلك بيني وبين نفسي ، وعجبت من اغفاله الأمر بتقطير الحاضرين مع وفور رياسته ! فعاهدت الله ألا أدخل بما أدخل به ، إذا قمت يوما مقامه •

قال : فكان صاحب لا يدخل عليه أحد في شهر رمضان بعد العصر كأننا من كان فيخرج من داره إلا بعد الإفطار •

وكانت داره لا تخلو ليلة من ليالي الشهر من ألف نفس تظفر فيها • وكانت أعطياته وصدقاته ونفقاته في هذا الشهر ، تبلغ ما يطلق منها في جميع السنة !! •

### مجان رمضان :

ه - مجاهرة قلة من الناس بعدم صيامه ، وتوطين النفس على ذلك مع التبجح والاستخفاف - وقد أشرنا الى ذلك من قبل - وفي هذا يقول الأخطل :  
ولست بصائم رمضان عمري      ولست بأكل لحم الأضاحي  
ولست بصائح في جنح ليل      كمثل العيرحى على الفلاح

والأخطل لا يطلب منه صوم رمضان ؛ لأنه كان مسيحياً ، ولكن هذا القول الجريء منه في غضاضة الاسلام ، يدلنا على مبلغ ما كان يتمتع به الشعراء من حرية في هذا العهد ، وعلى ما كان لهذا الشاعر خاصة من مكانة ، حتى كان يدخل على عبد الملك بن مروان ، والخمر تفوح من فيه ، وتتحادر من لحيته !!

وأقبح من ذلك وأدل على رقة الدين وضعف اليقين ، والتهتك الصريح قول الشاعر العباسي : ديك الجن الحمصي :

وحياة ظبي لم أصم عن ذكره      الا عضضت تنهدما ابهامي  
لأشافهن من الذنوب عظامها      ينقد عنها جلد كل صيام

ومن النوادر في ذلك : أن اعرابيا باشر الصيام ، فلما اشتد عليه أفطر ؛ فقالت له زوجته أو بنته : ألا تصوم ؟ فقال يجيبها :

أتأمرني بالصوم لادردها      وفي القبر صوم يا أميم طويل

ومر رجل بأعرابي يأكل في رمضان ، فقال له : ألا تصوم يا أعرابي ؟ فقال :  
وصائم هب يلحاني فقلت له      اعمد لصومك واتركني لافطاري  
واظماً ، فاني سأروى ثم سوف ترى      من ذا يصير اذا متنا الى النار

وقدم أعرابي على ابن عم له بالحضر فأدركه رمضان ، فقيل له : لقد أتاك شهر رمضان !

فقال : وما شهر رمضان ؟ قالوا : الامساك عن الطعام ! قال : أ بالليل أم بالنهار ؟!

قالوا : لا ، بل بالنهار ! قال : أفيرضون بدلا من الشهر ؟ قالوا : لا . قال : فان لم أصم فعلوا ماذا ؟

قالوا : تضرب وتحبس !

فصام أياما فلم يصبر ، فارتحل عنهم وجعل يقول :

يقول بنو عمى - وقد زرت مصرهم -

تهياً - أبا عمرو - لشهر صيام

فقلت لهم : هاتوا جرابي ومزودي (١)

سلام عليكم فاذهبوا بسلام

فبادرت أرضا ليس فيها مسيطر

على ، ولا مناع أكل طعام

ودخل عيينة بن حصن الفزارى - وكان معروفا بالحمق - على عثمان -

رضى الله عنه - فقال له : هل لك في العشاء ؟ فقال : انى صائم ! فقال عثمان :

أمواصل ؟ قال : وما الوصال ؟ قال : تصوم يومك وليلتك ويومك حتى تسمى •

قال : لا ، ولكنى وجدت صيام الليل أيسر على من صيام النهار !!

وقدّم أعرابي الى الوالى ، فقيل له : انه أفطر في رمضان • فقال الاعرابى :

ان الله يعلم أنى صائم ، ولكن وجدت حماوة في فؤادى ، فأردت أن أطفئها

بجرعة ماء !!

وهذا ليس بغريب من الأعراب ؛ لأن كثيرا منهم التحف الاسلام ولم يتبطنه ،

ولجهلهم بأحكام الشريعة لبعدهم عن مصادرها •

### صوم مع تكره :

٦ - قيام بعض الشعراء بصومه ، مع السخط عليه والتبرم به ؛ لأسباب

كثيرة :

منها عدم اعتياد الصوم - والعادة تسهل الصعب - كهذا المجوسى الذى

أسلم وأدركه رمضان فصامه ، ولكن ألح عليه الجوع والعطش فقال :

وجدنا دينكم سهلا علينا شرائعه سوى شهر الصيام

(١) المزود كمنبر : وعاء الزاد

ومنها الشعور بوطأة الحرمان من متع الطعام والشراب والنساء كقول  
شاعر :

الغوث من شهر الصيام      اذ صار لى مثل اللجام  
ما ان أمتع بالنساء      وبالطعام وبالمدام

وقول آخر :

رمى رمضان شملنا بالتفرق      فيالتيه عنا تقضى لنلتقى  
لئن سر أهل الأرض طرا قدومه      فان سرورى بانسلاخ الذى بقى

وقول بعض كتاب الشعراء :

ثقل الصوم علينا      أثقل الله عليه  
زارنى بالأمس بدر      كنت مشتاقا اليه  
فمضى لم أقض منه      حاجة كانت لديه

ويقول الأقيشر الشاعر - وقد منعه ابن عم له يدعى سعيدا من شرب الخمر  
في رمضان - :

اما ترانى قد هلكت فانما      رمضان أهلكنى ودين سعيد  
هذا يصردى فليست بشارب      وأخ يؤرقنى مع التصريد (١)

ومنها الضيق بطول أيامه ، ومن عادة التعب والجهد والمشقة أن تجعل الأيام  
طويلة على من يعانها ، حتى ولو كانت قصيرة في الواقع ، وصدق أبو فراس  
الحمدانى في قوله :

تطول بى الساعات وهى قصيرة      وفى كل دهر - لا يسرك - طول

(١) التصريد : التقليل ، والسقى دون الرى .

### ابن الرومي ورمضان :

وقد أبدع في تصوير طول أيام الصوم ابن الرومي في غير مقطوعة ، بما رزقه من دقة الوصف ، والغوص على المعاني البعيدة ، وتأليف الأخيلة البارعة ، والقدرة على توليد الأفكار واستقصائها ورهافة الحاسة الفنية المستوعبة ، هذا الى شغفه بالذم والهجاء ، والذهاب كل مذهب في التهكم والسخرية .

يقول - سامحه الله - :

شهر الصيام وان عظمت حرمة  
شهر طويل ثقيل الظل والحركة  
يمشي الهويني فأما حين يطلبنا  
فلا « السليك » يدانيه ولا « السلكه » (١)  
كأنه طـالب وترا على فرس  
أجد في اثر مطلوب على رمكه (٢)  
أذمه غير وقت فيه أحمده  
منذ العشاء الى أن تسقع الديكه (٣)  
وكيف أحمد أوقاتا مذمة  
بين الثدوب وبين الجوع مشتركة  
يا صدق من قال : أيام مباركة  
ان كان يكنى عن اسم الطول بالبركه  
شهر كان وقوعى فيه من قلقى  
وسوء حالى وقوع الحوت فى الشبكه

(١) السليك : شاعر لص عداء فتاك . والسلكة : الأنثى من فراخ القطا او

الحجل .

(٢) الرمكة بوزن بلحة : الفرس ، والبرزونة تتخذ للنسل .

(٣) تسقع : تصيح



لو كان مولى وكننا كالعبيد له  
لكان مولى بخيلا سييء الملكه  
قد كاد لولا دفاع الله يسلمنا  
الى الردى ويؤديننا الى الهلكه

ويقول - عفا الله عنه - :

رمضان يزعمه الغواة مبارك  
شهر لعمرك لا يقل قليله  
تتطاول الأيام فيه بجهودها  
لو أنه للقاطنين مسافة  
صدقوا وجّدك انه لطويل  
وكذا المبارك ليس فيه قليل  
فكان عهد الأمس منه تمجيل  
لحسبت أن الشبر منه الميل

ويقول - غفر الله له - :

شهر الصيام مبارك لكننا  
من كان يألفه فليت خروجه  
شهر يصد المرء عن مشروبه  
لا أستثيب على قبول صيامه  
جعلت لنا بركاته في طوله  
عنى بجذع الأنف قبل دخوله  
مما يحل له وعن مأكوله  
حسبى تصرفه ثواب قبوله

ويقول - تعمده الله بصفحه - :

إذا بركت<sup>باركته</sup> في صوم لقوم  
وما التبريك في شهر طويل  
فليت الليل فيه كان شهرا  
فلا أهلا بمانع كل خير  
دعوت لهم بتطويل العذاب  
يطاول يومه يوم الحساب  
ومثّر نهاره مر السحاب  
وأهلا بالطعام والشراب

ولكن نحمد لابن الرومي أنه مع ذلك كان يصوم رمضان ، والله سبحانه

يقول : « ان الحسنات يذهبن السيئات » .

### رمضان في الربيع :

وكان هؤلاء الشعراء أكثر تبرماً برمضان إذا جاء في فصل الربيع ، فصل  
التفتح والتيقظ والبهجة والنشوة والايناس •

يقول الخالدي في ذلك :

ان شهر الصيام اذا جاء في فصل ربيع أودى بحسن وطيب

ويقول ابن عون الكاتب :

جاءنا الصوم في الربيع فهلا  
وكان الربيع في الصوم عمدا  
اختار ربعا من سائر الأرباع  
فوق نحر غطاء فضل قناع

### رمضان في نظر بعض الشعراء :

٧ - ظهور نوع من المجون في الشعر يخص رمضان ، ويهاجم حرمة  
في رفق مرة وعنق أخرى • وفيه تصريح : بأنه كغيره من الشهور ، مسرح  
خصب للمتعة واللذات ، بل لعل اقتناص المباحج فيه أسهل وأيسر •

والعجيب صدور هذا عن بعض الصدور من الرؤساء الذين عرفوا بالتوقر  
والحشمة ، وأحسب أن هذا الشعر نوع من التفاسح أو المكايذة والاثارة  
والغايفة لأهل التخرج والصلاح !

يقول الصاحب بن عباد :

قد تعدوا على الصيام وقالوا  
كذبوا في الصيام للمرء مهما  
موقف بالنهار غير مريب  
حرم الصب فيه حسن العوائد  
كان مستنظعا أتم الفوائد  
واجتماع بالليل عند المساجد

ويقول متغزلا على سبيل المغالطة والتوريث :

راسلت من أهواه أطلب زورة فأجابني أو لست في رمضان

فأجبتة والقلب يخفق صبوة  
صم ان أردت تحرجا وتعففا  
أولا فزرنى والظلام مجلل  
أتصوم عن بر وعن أحسان  
عن أن تكذ الصب بالهجران  
وأحسبه يوما مر من شعبان

ويقول ابن بسام صاحب الذخيرة :

سقيا لشهر الصوم من شهر  
كم من غرير فيسه فزنا به  
وكم امام كان لى وصلة  
وخلة زارتك مشتاقة  
فانصرف الناس بما أملوا  
عندى له ماشاء من شكر  
أنهضه الليل من الوكر  
الى كحيل العين بالسحر  
فى « ليلة القدر » على قدر  
وبؤت بالآثام والوزر

### وقوع رمضان فى الواوات :

- وكان القدماء يطلقون على ما بعد العشرين من الشهر : « الواوات »
- وكان أهل بغداد يقولون لرمضان بعد العشرين : وقع فى الأنين
- وبعضهم يقول : وقع فى الواوات

وفى ذلك يقول ابن المعتز :

قد قرب الله منه كل ما شبعها  
فخذ لفطرك قبل العيد أهبتة  
كأننى بهلال الفطر قد لمعا  
فان شورك فى الواوات قد وقعا

وابن المعتز فى استعدادة مقدما لمباهج شوال ، يتأسى فى ذلك بالفرزدق  
فانه بدلا من أن يعتكف فى العشرة الأخيرة من رمضان - كما تقضى بذلك  
السنة - نراه يتهاى فيها للقاء جنائبه اذا انقضى الصيام ، فيراسلهن مقدما  
ويراسلنه ، كأن الأمر يحتاج الى أهبة سابقة •

وقد أتى في ذلك بمعان قال عنها أبو هلال العسكري : انها من المعانى  
المتكررة التى لم يسبق اليها ، يقول الفرزدق :

إذا ما مضى عشرون يوماً تحركت      أراجيف بالشهر الذى أنا صائمه  
وطارت رقاع بالمواعد بيننا      لكى يلتقى مظلوم قوم وظالمه  
فان شال شوال تشل فى أكفنا      كئوس تعادى العقل حين تسالمة (١)

### معان طريقة :

٨ - أوحى الى الشعراء وغيرهم كثيرا من المعانى الطريقة فى الوصف والمدح  
والغزل والهجاء والتندر والملح والمفاكهات كما أمدهم بكثير من صور البيان  
الفائقة الخلافة !!

من ذلك قول شاعر فى امرأة :

نبئت أن فتاة كنت أخطبها      عرقوبها مثل شهر الصوم فى الطول

وقول ابن سكرة الهاشمى يصف سوء حاله :

وهنوا بالصيام فقلت مهلا      فانى طول عمري فى صيام  
وهل فطر لمن يمسى ويضحى      يؤمّل فضل أقوات اللثام

وقوله :

أما الصيام فشئ لست أعده      مدى الزمان وان بيت افطارا  
أغشى أناسا فأغشى فى منازلهم      جوعا على ولا أغشى لهم نارا

وقول أسامة بن منقذ فى السلطان نور الدين محمود :

سلطاننا زاهد والناس قد زهدوا      له فكل على الخيرات منكمش  
أيامه مثل شهر الصوم خالية      من المعاصى وفيها الجوع والعطش

(١) شال : ارتفع والمراد : انقضى .

وقول أعرابي يتغزل - وقد عرض لذكر ليلة القدر - :

ألا جبذا البُرد الذي تلبسينه      ويا جبذا من باعك البرد من تجر  
فلو كنت ماء كنت ماء غمامة      ولو كنت درا كنت من درة بكر  
ولو كنت لهوا كنت تعليل ساعة      ولو كنت نوما كنت اغفائة الفجر  
ولو كنت ليلا كنت قمراء مُجنبت      نحوس محاق الشهر أو ليلة القدر

وقول المحسن - يمدح وذكر ليلة القدر أيضا - :

نلت في ذا الصيام ما ترتجيه      ووقاك الاله ما تنقيه  
أنت في الناس مثل شهرك في      الأشهر بل مثل ليلة القدر فيه

وقول اللحام الحرائي في بخيل :

على عدد الصوم رغفانه      فلسست ترى لقمة زائده  
أرى الصوم في داره للفتى      - اذا حلها - أعظم الفائدة

وقول ابن العميد في قاض مفطر :

يا قاضيا بات أعمى      عن الهلال السعيد  
أفطرت في رمضان      وصمت في يوم عيد

والابداع هنا في ذمّه بالجمع بين افطار رمضان وصوم العيد ، فكلاهما حرام

ومنكر في الدين •

ومن النكات الطريفة : أن أبا القاسم بن القطان دخل على الوزير ابن هبيرة

في يوم شديد الحر من أيام رمضان ، وعنده نقيب الأشراف - وكان يرمى

بالبخل - •

فقال له الوزير : أين كنت ؟ فقال : كنت في مطبخ سيدي النقيب !

فقال الوزير : ويلك ! أفي شهر رمضان في المطبخ ؟

فقال : نعم ! كنت أكسر الحر فيه !!

فتبسم الوزير • وضحك الحاضرون ، وخجل النقيب !!

وقيل لأعرابي : بم تتسحر الليلة ؟

فقال : باليأس من فطور الليلة القابلة •

### شعبان شهر قصف :

وكان الشعراء يحث بعضهم بعضا على انتهاب اللذات في شعبان ، استعدادا لاحتمال الحرمان في رمضان ، وفي ذلك يقول محمد بن عبد الله الجعفرى :

هل لك في صهباء مشمولة      ليست من الدبس (١) الذى يُنبذ  
فان شعبان على طيبه      درب - اذا فكرت - لا ينفذ

فاذا اتفق أن كان آخر شعبان يوم شك ، احتفل به الشعراء احتفالا منقطع النظير ، واستنفدوا الجهد فى اعطاء أنفسهم كل ما اشتهت ، وكأنهم يريدون أن يستجمعوا فيه دفعة واحدة كل المتع التى سيحرمونها فى رمضان ، وقد سجلوا ذلك فى مقطعات كثيرة مرحة ضاحكة !!

كتب الحسن بن رجاء الى صديق له فى يوم شك أفطر فيه الخليفة الواثق :

هزرتك للصبوح وقد نهانا      أمير المؤمنين عن الصيام  
وعندى من قنآن المصر عشر      تطيب بهن دائرة المدام  
فكن أنت الجواب فليس شيء      أحب الى من حذف الكلام

وتنزه أبو نواس ذات مرة مع أبى عيسى بن الرشيد « بالقفص » - بلدة

بين بغداد وعكبراء - فى أواخر شعبان •

(١) الدبس بالكسر وبكسرتين : عسل التمر وعسل النحل •

فلما كان اليوم الموفى ثلاثين ، قيل لأبى نواس : هذا يوم شك وبعض الناس يصومه احتياطا •

فقال أبو نواس : ليس الشك حجة على اليقين ، حدثنا أبو جعفر يرفعه الى الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته »

ثم التفت الى أبى عيسى فقال :

لو شئت لم نبرح من القفص      نشربها حمراء كالقاص  
نسرق هذا اليوم من شهرنا      فالله قد يعفو عن اللص

وكتب البوشنجى الى بعض أصدقائه :

فديتك هذا اليوم يوم وراءه  
ثلاثون يوما باللذاعة تفتك  
فان شئت فاحضرننا وان شئت فادعنا  
اليك فما للهو في اليوم مترك  
وفي الغد ان لم يدفع الشك - مجزع  
ومبكى فدعنا اليوم نلهو ونضحك

وكتب كشاجم الى صديق له أديب اسمه « على » عاشت الأسامي :

هو يوم شك يا على      وبشره - مذ كان - يحزر  
والجو حلتبه مسكة      ومطرفه معنبر  
والمساء فضى القميص      وطيلسان الأرض أخضر  
نبت يفتق زهره      في الروض قطر ندى تحدر  
ولنا فضيلات تكو      ن ليومنا قوتا مقدر  
ومدامة صفراء أد      رك عمرها كسرى وقيصر  
فانشط لنا لنحت من      كاساتنا ما كان أكبر  
أولا فانك جاهل      ان قلت : انك سوف تعذر

وقال ابن الحجاج :

اشربوها فكل اثم عليكم ان شربتم بالرطل في ميزان  
في ليال لو أنها دفعتني وسط ظهري وقعت في رمضان

ومراده : أواخر ليالي شعبان • وهو من الأرداف البديعي ، وتعريفه :  
أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له ، بل يعبر عنه بلفظ  
يؤدى معناه •

### وصف الأهلة

وقد استوجب صوم رمضان العناية بأربعة أنواع من الأهلة ، وهى هلال  
شعبان لارتباطه بأول رمضان • وهلال الشك ، وهلال رمضان ، وهلال شوال  
وهذه القيمة الدينية استتبعت قيمة أخرى أدبية ، فكثرت وصف الشعراء للأهلة  
الثلاثة الأخيرة على مدى العصور ، حتى من الشعراء غير المعروفين بالتدين •

أما هلال شعبان فالعناية به دينية بحتة ؛ لهذا لم يحتفل به الشعراء •

### ( ١ ) هلال الشك :

ويكون فى أول رمضان وآخره ؛ لأن الصيام والافطار يجبان برؤيته •  
وقد قال فيه ابن الوردي •

قلت هلال الصيام ليس يرى فلا تصوموا وارضوا بقول ثقه  
فغالطوني وحققوا ورأوا وكل هذا من قوة الحدقه

وقال صادق الرافعى :

هلال الشك لا تعجب اذا ما رأيت - كما أرى - هرج الأنام  
فقد حسبوا نحولك من نحولى فخيف عليك عاقبة الغرام



(ب) هلال رمضان :

وتعنى به الدول الإسلامية وشعوبها عناية فائقة ، وترصد مطالعة حتى تثبت من رؤيته ، فيتحقق أول الشهر ويحق الصيام ، ويكون ذلك من الأيام المشهورة ، فتؤلف المواكب الدينية ، وتثار مآذن المساجد ، وتحتفل الاذاعات ، وتعلن البشائر والتهانى • وتطلق المدافع ، وينشط رجال العلم والوعظ والارشاد والتصوف •

وكانوا قديما يستزيدون من انازة المساجد عند رؤية هلال هذا الشهر المنير يقول أحمد بن يوسف الكاتب العباسي :

أمرني الخليفة المأمون : أن أكتب الى جميع العمال في أخذ الناس بالاستكثار من المصاييح في شهر رمضان ، وتعريفهم ما في ذلك من الفضل •  
فما دريت ما أكتب ولا ما أقول في ذلك ؛ إذ لم يسبقني اليه أحد ، فأسلك طريقه ومذهبه •

قال : فنمت وقت القيلولة ، فأتاني آت في منامي ، فقال : اكتب : فان في ذلك أنسا للسابلة ، واطاعة للمتجهدين ، ونفيا لمظان الريب ، وتنزيها لبيوت الله من وحشة الظلم •

ولم يكن الخلفاء والأمراء يتكبرون على الصعود مع القضاة والشهود الى الأماكن العالية لرؤية هلال رمضان •

يقول الأصمعي : صعدت مع الرشيد - رحمه الله - عليا تنظر الى هلال رمضان ، فقال الأصمعي : يا أمير المؤمنين ، ما معنى قول هند بنت عتبة :  
نحن بنات طارق° نمشى على النسيم

فقال الرشيد : الطارق : الكوكب الذي في السماء •

فقال الأصمعي : أصبت يا أمير المؤمنين •

فأمر له الرشيد بعشرة آلاف درهم !!

### نوادير في هلال رمضان :

يحدثون : أن جماعة - فيهم أنس بن مالك الصحابي - حضروا لرؤية هلال رمضان - وكان قد قارب المائة - فقال أنس قد رأيته هو ذاك ! وجعل يشير إليه فلا يرونه •

وكان إياس القاضي حاضرا - وهو من هو في الذكاء - فنظر إلى أنس وإذا شعرة بيضاء من حاجبه قد ائنتت فوق عينه •

فمسحها إياس وسواها بحاجبه ، ثم قال له : أنظر يا أبا حمزة ، فجعل ينظر ويقول : لا أراه •

واجتمع الناس ليلة لرؤيته ، فكانوا يحدقون في الأفق ولا يرون شيئا •

فصاح رجل من بينهم : لقد رأيته !!

فاستعجبوا من قوة ابصاره ، وقالوا : كيف أمكنك أن تراه دوننا ؟ !

فطرب الرجل لهذا الثناء وصاح : وهذا هلال آخر بجواره •

فضحك الحاضرون منه !!

وطلبوا ليلة رؤيته ، فقال لهم « أبو مهدية » المضحك : كفوا فما طلب أحد

عيا الا وجده ! !

وصعدوا ليلة لنظره فلم يروه • فلما هموا بالانصراف رآه صبي وأرشدتهم

إليه ، فقال له أحدهم : بشر أمك بالجوع المضنى ! !

وقيل لرجل : أما تنظر الى هلال رمضان ؟ فقال : ما أصنع به ؟ محل دين ،  
ومقرب حين « أجل » ومؤذن بالجوع !!

ونظر أعرابي الى قوم يلتمسون هلال رمضان ، فقال : أما والله لئن أثرتموه  
لتمسكن منه بذنابي عيش أغبر !!

### هلال رمضان والشعراء :

وتدل رواية الشعر على أن بعض الشعراء على الأقل لم يكونوا يلقون هلال  
رمضان بالبشر والحفاوة !!

يقول ابن الرومي :

انى ليعجبني تمام هلاله وأسر بعد تمامه بنحوه

ويقول أبو الحسين بن سراج الأندلسي - معذرا الى بعض أصدقائه - :  
وأنا أسأت فأين عفوك مجملا هبني عصيت الله في شعبان  
لو زرتني والآن تحمد زورة كنت الهلال أتى بلا رمضان

فهو يجعله هلالا ولكن لغير رمضان .

ويقول بعض الشعراء :

تجلى علينا هلال الصيام بنحس على الكأس والبربط (١)

ولهذا نراهم يشمتون بقمر رمضان حين يدركه النقصان ؛ يقول ابن المعتز :  
ياقمرأ قد صار مثل الهلال من بعد ما صيرني كالخلال  
الحمد لله الذي لهم أمست حتى رأيناك بداء السلال

ويقول شاعر في معناه :

لقد سرنى أن الهلال لناظري بدا وهو محقور الخيال دقيق

(١) البربط كجعفر : العود .

طواه مرور الشهر حتى كأنه  
عنان لواه باليدن رفيق  
وانك ياشوال لى لصديق  
وانى لشهر الصوم ماعشت شامت

وممن رحب به من الشعراء المحدثين : محمد الأخضر السائحي الجزائري ،  
وذلك حيث يقول :

أيهـا النور الحبيب	املاً الدنيا شعاعاً
وهو كالليل رهيب	قد طغى اليأس عليها
ومضت لا تستجيب	فقرامت في الدياتجى
من بعيد وقريب	اسكب الأنوار فيها
أهلها فهو غريب	ضيع الحق لديها
فنسوا حق المشيب	غرهم فيها شباب
بـرق عيش لا يطيب	وسببهم في دجاها
أيها النور الحبيب	املاً الدنيا شعاعاً
هى من خير العهود	ذكر الناس عهداً
للتسامى والصعود	يوم كان الصوم معنى
ض على هذا الوجود	ينشر الرحمة في الأر
ويمضى بالصعود	يفتح الأرواح للحب
من خلف الحسادود	وتكاد العين أن تنظر
أسباب الخلود	وتكاد اليد أن تلمس
كله بر وجود	هو عهد قد تقضى
للتسامى والصعود	يوم كان الصوم معنى

( ج ) هلال شوال :

وهو أحب الأهاليلى الى الناس بعامة ، والى الشعراء بخاصة ؛ لأنه يرفع  
عنهم قيود الصيام ، ولأنه يأتى بعيد الفطر الحبيب لديهم •

وهلال شوال ، يضرب به المثل للشيء البهيج الذي يسر به الناس ،  
ويحتفلون بالنظر اليه !!

وفي هذا المعنى يقول أبو تمام في وصف مصلوب :  
رمقوا أعالي جذعه فكأنما رمقوا الهلال عشية الافطار

ويقول ابن المعتز في وصف جميل :  
مر بنا والعيون ترمقه في قد غصن ، وحسن تمثال  
فخلته والعيون تنظره من كل فج هلال شوال

ويقول أبو محمد البطليوسي في وصف فرس :  
كأن هلال الفطر لاح بوجهه فأعيننا شوقا اليه تليل

لهذا لم يكن عجبا أن يذكره الشعراء كثيرا ، ويفتنوا في وصفه الى أبعد  
الغايات !!

يقول ابن المعتز :  
وهلال شوال يلوح ضياؤه وبنات نعش وقف بازائه  
كبنانة من مخلص لما بدا وجه الوزير دعا بطول بقائه

ويقول السرى الرفاء - وهو من الكثيرين فيه - :  
قد جاء شهر السرور شوال وغال شهر الصيام مغتال  
أما رأيت الهلال يرمقه قوم لهم - أن رأوه - اهلال  
كأنه قيد فضة حرج فض عن الصائمين فاختلفوا

ويقول فيه :  
ولاح لنا الهلال كشطر طوق على لبات زرقاء اللباس

ويقول :

وكأن الهلال نون لجين      غرقت في صحيفة زرقاء

ويقول :

ولاح هلال الفطر نضوا كأنه      سنان لو اه الطعن في رأس عامل

ويقول فيه بعض الشعراء :

اسقنى الكأس يانديمي فقد عا      دُبعيد الصيام عهد الوصال  
ما رأينا الهلال حتى رأينا      كل شخص منا شبيه الهلال

ومن الطرائف : أن الملك المعظم الشاعر الأديب عيسى الأيوبي كان قد طلع  
الى مئذنة دمشق لرؤية هلال شوال ومعه القاضى والشهود • فلم ير الهلال أحد  
منهم ولكن رآته جارية من محظياته ، فقال الملك المعظم لابن القصار الشاعر :  
قل فى ذلك شيئاً ؛ فقال ابن القصار :

توارى هلال الأفق عن أعين الورى      وغطى بستر الغيم زهوا محياه  
فلما أتاه لاجتلاء شقيقه      تبدى له دون الأنام فحياه

ويقول على بن ظافر الأندلسى : اجتمعت ليلة مع القاضى الشاعر أبى الحسن  
ابن النبيه ، ومعنا جماعة من شعراء مصر ، فأشدهم ابن النبيه قول مؤيد الدين  
الطغرائى فى هلال الفطر :

قوموا الى لذاتكم يانيام      وأترعوا الكأس بصفو المدام  
هذا هلال العيد قد جاءنا      بمنجل يحصد شهر الصيام

فقال ابن النبيه : لو شبه الهلال بمنجل يحصد نرجس النجوم لكان أولى •

ثم قال :

انظر الى حسن هلال بدا

فقلت :

يذهب من أنواره الحندسا (١)

فقال :

كمنجل قد صيغ من فضة

فقلت :

يحصد من زهر الدجى نرجسا

قال ابن ظافر : ثم زدت على هذا المعنى زيادتين بديعتين ، يدركهما الناقد

البصير فقلت :

بنور وجهه الوسيم

أما ترى الهلال يخفى أنجم الأفق

روض الظلام نرجس النجوم

كمنجل من فضة يحصد من

ما ينظر اليه عند رؤية الأهلة :

جاء في مجموعة ابن سينا الكبرى في العلوم الروحانية ما يأتي :

المحرم : ينظر عند رؤية هلاله الى الماء أو الى النيل •

صفر : ينظر الى كف نفسه •

ربيع الأول : ينظر الى ذهب أو فضة •

ربيع الآخر : ينظر الى وجه حسن •

جمادى الأولى : ينظر الى طعام حلو •

جمادى الآخرة : ينظر الى السماء ويقرأ الفاتحة •

رجب : ينظر الى محل عال ، ويقرأ ما تيسر من القرآن •

شعبان : ينظر الى أماكن عالية ، ويقرأ الصمدية ثلاث مرات •

رمضان : ينظر الى محل عال ، ويقرأ ما تيسر من القرآن •

(١) الحندس : الظلمة ، والليل المظلم .

- سؤال : ينظر الى السماء ، ويقراً « ألم نشرح » •  
ذو القعدة : ينظر الى فضة أو لؤلؤ أو معدن •  
ذو الحجة : ينظر الى ذهب أو فضة أو كتاب •

### حلواء رمضان

أمتنا العربية بعامة تحب الحلواء ، وكان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يحب الحلواء والعسل •

وقد سأله ابن عباس : أى الشراب أفضل ؟ فقال : الحلو البارد : أى العسل •  
ويقول معمر العرب أبو عبيدة : يقول العرب : كل طعام لا حلواء فيه ، فهو خداج (١) : أى ناقص غير تام •

وقال رجل للأحنف بن قيس : ما شئ أبغض الى من الحلواء ! فقال له : رب ملوم لا ذنب له •

ويحكى الزمخشري في ربيع الأبرار : أن رجلاً اشترى أحمالاً من السكر ، وأمر أن يصنع منها مسجد ذو شرفات ومحاريب وأعمدة منقوشة ، ثم دعا الفقراء فهدموه ونهبوه ! !

وكانت الحلواء يختم بها الطعام كما نفعل نحن الآن ، ومن كلام ابن القاسم :  
العوائد أحمد من الباديات ، والفوائد فى النتائج لا فى المقدمات ، كما ختم  
الطعام بالحلواء ، ونسخ الظلام بالضياء ، وبعث محمد خاتم الأنبياء ! •

ويقول بختيشوع : الحلواء كلها ، حقها أن تؤكل بعد الطعام ، لأن للمعدة  
ثورانا عقب الامتلاء كثوران الفقاع (٢) ، فاذا صادفت الحلاوة سكنت •

---

(١) الخداج ككتاب فى الأصل : القاء الناقة ولدها لغير تمام .  
(٢) الفقاع كرمان : شراب يرتفع الزبد فى رأسه .



ثم يقول : قول الناس : ان في المعدة زاوية لا تسدها الا الحلاوة على أصله ،  
والآكل - اذا اشتهى الحلاوة - ثم فقدتها - وجد حواسه ناقصة •

### أنواع الحلواء :

وأشهر أنواع الحلواء عندهم :

#### ١ - التمر مع الزبد :

ويجبه أهل البداوة بخاصة ، وفيه يقول الشعبي : ما رأيت فارسا أحسن  
من زبد على تمر ، وأنشد لبعض الشعراء :

ألا ليت لي خبزا تسربل رائبًا وخيلا من البرنى (١) فرسانها الزبد

وقال الحجاج لجلسائه : ليكتب كل رجل في رقعة أحب الطعام اليه ، ويجعلها

تحت مصلاه •

فاذا الرقاع كلها الزبد والتمر !!

#### ٢ - الخبيصة أو الخبيص :

ويعمل في الأصل من السمن والتمر ، وقد يعمل من العسل وتقى الدقيق ،  
وفعله : خبص يخبص بكسر الباء وضمها ، وخبص بالتشديد ، وتخبص ،  
واختبص •

وكان سفيان يقول : لا بد للعاقل في كل أربعين يوما من خبيصة تحفظ

عليه قوته •

ويقول الزمخشري - نقلا عن بعضهم - : الخبيصة : خاتمة الخبز •

ويحكى مالك بن أنس عن ربيعة الرأي : أكل الخبيص يزيد في الدماغ •

وأول من خبص الخبيصة عثمان رضى الله عنه ؛ خلط بين العسل وتقى

الدقيق ، ثم بعث به الى الرسول - صلى الله عليه وسلم - في منزل زوجته السيدة

« أم سلمة » فقال : من بعث بهذا ؟ فقالوا : عثمان •

(١) البرنى كنجدى : التمر •

فرفع الرسول الكريم وجهه الى السماء ، وقال : « اللهم ان عثمان يسترضيك  
فارض عنه » •

### ٢ - الفالودج بفتح الذال :

• حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل •

ويؤخذ من وصفها في الشعر : أنها تعمل من لباب البر والسمن والشهد كما  
سيأتي •

وقد جاء الفالودج بهذه الصيغة في القاموس • وحكى الجوهرى في الصحاح :

الفالوذ والفالوذق ولا تقل الفالودج • وفي شفاء الغليل : فالوذ وفالوذق : معربان  
عن « بالوذة » : المعروفة عندنا بالبالوذة • ويقال : أيضا الفولاذ والفالودج •

وفي الحديث : أن النبي عليه الصلاة والسلام « كان يأكل الدجاج والفالوذ »

وأول من اتخذه من العرب عبد الله بن جُدعان ، وكان سييدا شريفا من

مطعمى قريش كهاشم بن عبد مناف •

وذلك : أنه وفد على كسرى وأكل لديه الفالوذ ، فابتاع من عنده غلاما

يصنعه وقدم به مكة فصنع الفالوذ ، ووضع موائده بالأبطح الى باب المسجد

ثم نادى : من أراد أن يأكل الفالوذ فليحضر •

فكان ممن حضر أمية بن أبى الصلت الشاعر - وكان يمدحه كثيرا - فقال

يصفه - وهو أول من وصفه من العرب :

لكل قبيلة رأس وهاد

وأنت الرأس تقدم كل هادى (١)

له داع بمكة مشمعل (٢)

وآخر فوق دارته ينادى

الى رده (٣) من الشيزى ملاء

لباب البريليك بالشهاد

(١) الهادى : العنق والمتقدم •

(٢) المشمعل بوزن مستقل : النشيط •

(٣) الردح كسفن : جمع رداح بفتح الراء وهى الجفنة العظيمة • والشيزى

بكسر الشين : خشب أسود يتخذ للقصاص ، أو هو الأبنوس أو خشب الجوز •

وكان لابن جدعان جفان يأكل منها القائم والراكب ، ويروى أن صبيًا وقع في أحداها ففرق ! فضرب بها المثل في العظم •

وسمع الحسن البصرى قائلًا يعيب الفالوذ ، فقال : لباب البر ، بلعاب النحل ، بسمن الماعز ! ما عاب هذا مسلم قط ، ثم تلى قوله - تعالى - : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق »

• وفي رواية بخالص السمن بدلًا من « سمن الماعز » •

• وقد وردت في الفالوذ طرائف خليقة بالنشر •

• منها أنه قيل لأبي الحارث جمين : ما تقول في الفالوذج ؟ •

فقال : وددت أن الموت والفالوذ اعتلجا في صدري الى يوم القيامة ! والله لو أن موسى لقي فرعون بفالوذج لآمن ، ولكن لقيه بعصا !!

وجلس الغاضرى يأكل فالوذج على مائدة يزيد بن عبد الملك الأموى ، فجعل الغاضرى يأكل ويسرع ! فقال يزيد : أرفق بنفسك فان الاكثار منه يقتل ! فقال الغاضرى : منزلى على طريق المقابر ، وما رأيت جنازة قط ، قيل : ان صاحبها مات من أكل الفالوذج !

وجلس أعرابى على مائدة سليمان بن عبد الملك ، فأتى بفالوذج فأخذ الأعرابى يأكل منه بشراهة !

فقال سليمان : أتدرى ما تأكل يا أعرابى ؟ فقال بلى يا أمير المؤمنين ، انى لأجد ريقا هينا ، ومزردا لينا ، وأظنه الصراط المستقيم الذى ذكره الله فى كتابه !!

فضحك سليمان وقال : أزيدك منه يا أعرابى ؟ فانهم يذكرون أنه يزيد فى

• الدماغ •

فقال الأعرابي : لا تصدق يا أمير المؤمنين ، فلو كان الأمر كذلك لكان رأسك مثل رأس البغل !!

وقيل لأعرابي على مائدة بعض الرؤساء : لم يشبع أحد من الفالوذ الامات !!

فأمسك الأعرابي قليلا يفكر ويقدر ، ثم ضرب فيه بيده الخمس ، وقال : استوصوا بعيالي خيرا !!

• وجلس أبو هفان الشاعر وأبو العيناء على مائدة فيها فالوذ حار .

فقال أبو هفان لأبي العيناء : هذا آخر مقامك من جهنم !

فقال أبو العيناء - وكان حاضر الجواب - : ان كان حارا فبرده بشعرك !!

وبعث رجل الى مزبد المدنى بفالوذ قليل الحلاوة !

فقال مزبد : ينبغي أن يكون هذا الفالوذ قد عمل قبل أن يوحى ربك الى

النحل !!

وكان أحمد بن خالد وزير المأمون مضرب المثل في الشراهة ! وقد قيل :

انه ولى رجلا كورة جلييلة « مدينة أوصقعا » لأنه أهدي اليه خوانا من الفالوذ !!

ويقول العسكرى في وصف الفالوذ :

حمرء في بيضاء فضية	وظرف كافور وحشو الخلق
يطوف الدهن بأرجائه	اطافة الدمع بجفن المشوق
كأنسا اللوز بحافات	أنصاف در ركبت في عقيق

ويقول آخر :

ولاطفه بالشهد المخلق وجهه	وان كان بالالطاف غير خليق
كأن اصفرار اللوز في جنباته	كواكب تبر في سماء عقيق

وكان الفالوذ الذى يباع فى الأسواق غير محمود عندهم ، فضر به مثلا  
للحسن المنظر السيء المخبر ، وفى ذلك يقول الشاعر :

أعزز على بأخلاق وسمت بها      عند البرية يا فالوذج السوق  
ويقول ابن حجاج يذم صديقا :

ليس له فى الجميل رأى      ولا بفعل الجميل طاقه  
كأنه فى القميص يمشى      فالوذج السوق فى رفاقه

#### ٤ - اللوزينج بسكون الواو وكسر الزاى وفتح النون :

• شبه القطائف يؤدم بدهن اللوز ، فارسى معرب •

وكان يسمى عندهم : قاضى قضاة الحلوات !!

وقيل لبعضهم : التمر يسبح فى البطن ، فقال : على هذا التقدير ، اللوزينج

• يصلى فيها التراويح •

وقد وصفه ابن الرومى بقصيدة مشهورة تعد أبداع ما قيل فيه منها :

لا يخطئى منك لوزينج      اذا بدا أعجب أو أعجبا  
لو شاء أن يذهب فى صحنه      لسهل الطيب له مذهبا  
يدور بالنفحة فى جامه      دورا ترى الدهن له نولبا  
مستكثف الحشو ولكنه      أرق جلدا من نسيم الصبا  
من كل بيضاء يود الفتى      أن يجعل الكف لها مركبا  
لو أنه صور من خبزه      ثغر لكان الواضح الأشنبا

ويعد الفالوذج واللوزينج أنفس الحلويات على الاطلاق ، وكانت المنافسة

بينهما أو قل : بين آكليهما حادة شديدة !

ويقصون فى ذلك : أن الرشيد وأم جعفر زبيدة اختلفا فيهما : أيهما أطيب ؟

فاحتكما الى القاضى أبى يوسف ، فقال يا أمير المؤمنين لا يحكم بين غائبين ، اذا حضر الخصمان حكمت بينهما !

فجىء اليه بطبق من كل منهما ، فجعل يأكل من هذا لقمة ومن ذاك لقمة حتى أتى عليهما !!

• فقال له الرشيد : احكم بينهما

فقال : والله يا أمير المؤمنين ، كلما أردت أن أقضى لأحدهما جاء الآخر بحجته !!

فضحك الرشيد وأمر له بألف دينار ، وأمرت له زبيدة بألف دينار الا واحدا تأدبا مع الخليفة •

### أشهر حلوات رمضان :

ومع أن الحلوات تؤكل فى كل زمان ومكان ، الا أن ثلاثة منها يكتر صنعها وأكلها فى شهر الصيام لدى الافطار بخاصة •

وهى : الكنافة والقطائف ثم تأتى بعدهما الزلاية •

ومن العقائد الموروثة : أن للحلواء أثرا محمودا فى رد قوة الصائم اليه ، يقول وهب بن منبه : اذا صام الرجل زاغ بصره ، فاذا أفرط على الحلوى رجع اليه بصره • ويقول الدكتور نجيب عبد السلام طبيب العيون : ان الصائم عادة يكتر من أكل الحلوى ، وهذا يفيد العيون عموما ، والعيون المريضة على وجه الخصوص •

وقد بلغ من شهرة الكنافة والقطائف : أن جلال الدين السيوطى جمع ما قيل فيهما فى كتاب سماه : « منهل اللطائف فى الكنافة والقطائف » •

### الكنافة :

يذكر ابن فضل الله العمري : أن أول من اتخذها من العرب معاوية ابن أبي سفيان ، وكان يأكلها في السحور ، وذلك أنه شكا الى طبيبه الجوع - وكان معاوية من الأكلة المشهورين - فوصفها له •

### وصف الكنافة :

يقول فيها أبو الحسين الجزار المصري - وهو من المكثرين فيها - :  
سقى الله أكناف الكنافة بالقطر      وجاد عليها سكر دائم الدر  
وتب لأوقات المخلل انها      تمر بلا نفع وتحسب من عمري  
والمراد بالقطر هنا : ما تسقى به الكنافة من العسل وذوب السكر •

ويقول الجزار أيضا :

الام أرى وجه الكنافة مغضبا      ولولا رضاه لم أرد رمضانها  
عجبت لها من رقة كيف أظهرت      على جفاء صد عنى جفانها  
ويقول شهاب الدين الهائم :

اليك اشتياقي ياكنافة زائد      ومالي غناء عنك كلا ولا صبر  
فلا زلت أكلى كل يوم وليلة      ولا زال منها بجرعائك القطر

ويقول الجزار يستهدى قطر الكنافة :

أيا « علم الدين » الذي جود كفه      براحته قد أخجل الغيث والبحرا  
لئن أمحلت أرض الكنافة انى      لأرجو لها من سحب راحتك القطرا

ويقول ابن نباته :

لجود قاضي القضاة أشكو      عجزى عن الحلو في صيامى  
والقطر أرجو وما عجيب      للقطر يرجى من الغمام

ويقول أيضا :

أمولاي عندي للثناء قصائد  
وتشتاق من احسانك الحلو رسمها  
تريك رياض اللفظ باسمه الزهر  
وما عجب شوق الرياض الى القطر

ويقول مع التضمين :

شكرا لبرك ياغيث العفاة ولا  
قد جدت بالقطر حتى زدت، في طمعي  
زالت مدائحك العلياء تنتخب  
« وأول الغيث قطر ثم ينسكب »

### القطائف :

في لسان العرب : طعام يسوى من الدقيق المرق بالماء ، شبهت بخم  
القطيفة التي تفرش • والتشبيه صحيح لأن القطيفة دثار مخمل • وفي القاموس :  
القطائف المأكولة لا تعرفها العرب ، أو لما عليها من نحو خم القطائف  
الملبوسة •

وقد أكثر الشعراء من وصفها :

يقول أبو هلال العسكري :

كثيفة الحشو ولكنها  
رشت بماء الورد أعطافها  
رقيقة الجلد هوائيه  
كأنما من طيب أنفاسها  
منشورة الطي ومطويه  
جاءت من السكر فضية  
قد سرقت من نثر « ماريه »  
وهي من الأدهان تبريه

ويقول برهان الدين القيراطي - وفيه اكتفاء بديعي - :

مولاي « نور الدين » ضيفك لم يزل  
صدقت قطائفك الكبار حلاوة  
يروى مكارمك الصحيحة عن « عطا »  
بفمي وليس بمنكر صدق « القطا » (١)

(١) القطا : نوع من الحمام يقول : قطا قطا ف ضرب به المثل في الصدق .



ويقول الصفدى - وقد استعمل التضمين - :

رعى الله نعماك التى من أفلها  
أمد لها كفى فأهتز فرحة  
قطائف من قطر «النبات» لها قطر (١)  
« كما اتفض العصفور بلله القطر »

ويقول الصفدى أيضا - وفيه تورية - :

أتانى صحن من قطائفك التى  
ولا غرو ان صدقت حلو حديثها  
غدت وهى روض قد تبلل بالقطر  
وسكرها يرويه لى عن «أبى ذر» (٢)

ويقول ابن نباتة - وقد جمع بين التورية والتضمين والاكتفاء - :

أقول وقد جاء الغلام بصحنه  
بعيشك قل لى : جاء صحن قطائف  
عقيب طعام الفطر يا غاية المنى  
« وصرح بمن تهوى ودعنا من الكنا » (٣)

ويقول ابن الوردى :

بعث قطائفنا روى  
فسكرها « أبو ذر »  
حشاها قطرك الغامر  
ومرسل صحنها « جابر »

ويقول السراج الوراق :

قطائفك التى رقت جسوما  
كغيم رق لكن فيه قطر  
لماضعها كما كثفت قلوبا  
غدا القفر الجديب به خصيا

ويقول ابن المعلم المرصص :

وحقك ما أوليتنى من قطائف  
وقد ضمنت مثل العتاب حلاوة  
ألد وأحلى من وصال «القطائف» (٤)  
ألم ترها ملفوفة كالصحنائف

(١) النبات : يريد به : سكر النبات .

(٢) أبو ذر : يريد أنه مسحوق . وفيه تورية .

(٣) من الكنا : أى الكنافة فحذف الفاء والتاء اكتفاء .

(٤) القطائف : اللاتى يمشين هونا .

ويقول ابن المشد :

وقطائف مثل البدو      رأيت لنا من غير وعد  
فحسبتها - لما بدت      في صحنها - أقراص شهد

ويقول بعض الشعراء :

أذ شيء على الصيام      من الحلاوات في الطعام  
قطائف نضدت فحاكت      فرائد الدر في النظام  
منومات على جنوب      في الجام كالصبية النيام

ويقول آخر :

قطائف قد حشيت باللوز      والعسل الماذى (١) والجوز  
تسبح في آذى (٢) دهن الجوز      سررت لما وقعت في حوزى  
سرور « عباس » بقرب « فوز » (٣)

ويقول القاضي محيي الدين المصرى - في قطائف رديئة أهديت إليه - :

هذى قطيفتك التى      لا تشتهى تقلا وعقلا  
حشيت ببرد يابس      فلأجل ذاك الحشو تقلى

وبعض الشعراء يفضل القطائف على الكنافة ، وفي ذلك يقول سعد الدين

ابن عربى :

قال القطائف للكنافة ما      بالى أراك رقيقة الجسد  
أنا بالقلوب حلاوتى حشيت      فتقطعى من كثرة الحسد

(١) الماذى : العسل الأبيض .

(٢) الآذى : الموج .

(٣) يريد عباس بن الأحنف وفوز معشوقته .

### الزلاية :

ولم يكثر الشعراء من وصفها ، ومن قول ابن الرومي يصفها ويصف قاليها  
- وهو من المنهومين بألوان الطعام - :

ومستقر على كرسية تعب      روحى الفداء له من منصب تعب  
رأيته سحرا يقلى زلاية      فى رقة القشر والتجويف كالقصب  
يلقى العجين لجينا من أنامله      فيستحيل شبايكا من الذهب

وقيل : هى مولدة ، والصحيح : أنها عربية لورودها فى رجز قديم •

ومما يتصل بذلك : أن أهل بلدنا معروفون بصنع حلواء تدعى « فطيرة  
الصحن » وتصنع للضيوف فى رمضان •

وقد أكلها عندى الصديق المرحوم الشاعر محمد الأسمر ، فحدث بها بعض  
الاخوان ، فكان أن حتموا على أن أصنعها لهم بكمية كبيرة كان فيها « خراب  
البيت وكب الزيت » كما تقول فى الصعيد ! فقلت أشكو هذه الحادثة بشعر  
فكاهى :

عذيرى من الشاعر العبرى      وان كان عندى أبر الصحابِ  
جنى - والجنباية من مثله      على شرف القصد - فوق العتابِ  
شدا « بالفطيرة » شدو الهزار      على عذبات العصون الرطابِ  
وشهرها بين أهل القريض      فكل من الغيظ يفرى اهـابى  
وجاء الى منزلى معشـر      غلاظ الرقاب يدقون بابى  
وصاحوا بى : اخرج عداك الأمان      فيومك مثل جناح الغرابِ  
حكمتنا عليك فخل الخـلاف      فأنف المخالف تحت الترابِ  
وعجل بها كأكف الملاح      تأنقن فى صبغها بالخضابِ  
ومحشوة « بالزبيب » الأحم      ومسقية بالشهاد المذابِ  
إذا جال فيها بنان الأديب      تنسم منها أريج المـلابِ

وان أوغلت يده في الصميم  
ذخائر في جوفها أودعت  
وان زدت في الكرم الحاتمي  
فمزقت ثوبي لفرط الأسى  
وقلت لهم : قصة صاغها  
فلا تؤمنوا بالذي قاله  
صديق يشيد بقدر الصديق  
وقد يكذب الشاعر العبقرى  
أترضون أن تقودى تبيد  
سأرحل عن منزلى القاهرى  
وان آدم جسمى لذع البعوض  
وأبقى هنالك فى معزل  
وكيف بصبرى على عيشة  
وقد يهجر المرء أوطانه

أتته بكل عجيب عجباب  
كما سكن الدرجوف العباب  
فأهلا بها بعد أكل « الكباب »  
وصحت بملء فمى يا « خرابى »  
أديب يحلق فوق السحاب  
وان كان ينطق فصل الخطاب  
ويضفى عليه قشيب الثياب  
وخير من الصدق بعض الكذاب  
وقد جمعت من « دموع الكلاب »  
الى الريف ، والريف خصب الجناب  
وان صك سمعى طنين الذباب  
الى أن يحين أوان « الحساب »  
تسلم ذقنى لكف « المرابى »  
اذا وجد الأمن فى الاغتراب

### سحور رمضان

- السحور - بفتح السين - ما يؤكل وقت السحر ، وهو قبيل الفجر .
- والسحور بالضم : فعل الصائم نفسه . وتسحر أيضا : أكل السحور .
- وقد جرت السنة أن يتسحر الصائم تقويا على الصيام ، لأن الشارع الحكيم لا يريد من الصوم التحطيم والتعذيب ، بل يريد التصفية والتهديب ، ولهذا كان من المستحب تعجيل الفطور ، وتأخير السحور ، ترويحاً من الجهد ، وحفظاً لقوام البدن ، ويسمى السحور المتأخر : الغداء المبارك لقرب وقته من وقت الغداء .
- وفى الحديث الشريف « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور » وكان صلى الله عليه وسلم - « يفطر قبل أن يصلى المغرب على رطبات ، فان لم يجد رطبات فتمرات ، فان لم يجد تمرات حسا حسوات من ماء » .

ولما كان السحور يقع في أخريات الليالي حيث تهدأ الجوارح ، وتقر الجنوب ، ويلد الاغفاء ، اتخذت الوسائل قديما وحديثا ، لتنبية الصائمين لوقت التسحر ، وبخاصة أن صحة الصوم تتوقف على معرفة نهايته بالتحديد الدقيق .

ففي عصرنا مثلا تطلق المدافع ، وتدق الطبلات ، مع أدعية خاصة في المدن ، ويكتفى بالوسيلة الأخيرة - دق الطبلات - في القرى والديساكر .

أما في العصور السالفة ، فقد كانت لهم وسائلهم الملائمة لحياتهم ، فمن ذلك التّغنى بشعر « القوما » وهو شعر شعبي له وزن مختلفان ، اخترعه بغدادى يدعى « أبا نقطة » للخليفة الناصر لدين الله العباسى برسم السحور في رمضان

وغلب عليه هذا الاسم من قول بعض المغنين لبعض : « قوما لسحر قوما »

وقد أعجب الخليفة به وطرب لاستماعه . وكافأ أبا نقطة بإجراء وظيفة

سنوية عليه .

ثم مات أبو نقطة وأعقب ولدا صغيرا حاذقا بهذا النظم ، فأراد أن يعلم

الخليفة بموت أبيه ليأخذ وظيفته ، فلم يتيسر له ذلك ، فانتظر حتى جاء رمضان

ووقف في أول ليلة منه مع أتباع والده تحت الطيارة وغنى « القوما » بصوت

رقيق رخيم ، فاهتز له الخليفة وانتشى وطار كل مطار .

وحين هم بالانصراف انطلق ابن أبى نقطة يشد :

يا سيد السادات لك فى الكرم عادات

أنا ابن أبى نقطه تعيش أبى قدمات

فأعجب الخليفة بسلامة ذوقه ، ولطف اشارته ، وحسن بيانه مع ايجازه ،

فأحضره وخلع عليه ، ورتب له ضعف ما كان لوالده .

ومما يجب أن يعرف أن التسحير لم يكن مقصورا على الرجال ، بل شاركت فيه النساء ، وقد وصف لنا احداهن الشيخ زين الدين بن الوردي بقوله :

عجبت في رمضان من مسخرة      بدیعة الحسن الا أنها ابتدعت  
قامت تسحرنا ليلا فقلت لها      كيف السحور وهذي الشمس قد طلعت

### فانوس السحور :

ومن وسائل التنبيه للسحور أيضا « فانوس السحور » وهو فانوس كان يُضاء ويعلق على منار المساجد ، ويطفأ حين يحين وقت الرفع .

وقد داعب ضوء هذا الفانوس خيال الشعراء في ذلك العصر ، فجادوا عليه بكثير من المقطوعات اللطيفة .

وأول من نظم فيه أبو الحجاج يوسف بن علي الموسوم « بابن النعجة » تلبية لاقتراح جماعة من الأدباء عليه بغية تعجيزه ، فأنشأ يقول مرتجلا :

ونجم من الفانوس يشرق ضوءه      ولكنه دون الكواكب لا يسرى  
ولم أر نجما قط قبل طلوعه      اذا غاب ينهى الصائمين عن الفطر

فأخذوا عليه : أن نجوم الصباح - وهي لا تحصر عددا - تنهى الصائمين بغيابها عن الفطر ، وألحوا عليه بالتقريع والتوبيخ فحوى فكره ، وأنشأ يقول :

هذا لواء سحور يستضاء به      وعسكر الشهب في الظلماء جرار  
والصائمون جميعا يهتفون به      كأنه « علم في رأسه نار »

وفي الصباح تسمع الشعراء بالقصة فتباروا في وصف هذا الفانوس ، فقال الرشيد أبو عبد الله :

أحب بفانوس غدا صاعدا      وضوءه دان من العين  
يقضى بصوم وبفطر معا      فقد حوى وصف الهالين

وقال الفقيه أبو محمد القلعي :

وكوكب من ضرام الزند مطلقه  
يراقب الصبح خوفا أن يفاجئه  
كأنه عاشق وافى على شرف  
تسرى النجوم ولا يسرى إذا رقبها  
فان بدا طالعا في أفقه غربا  
يرعى الحبيب فان لاح الرقيب خبا

وقال ابن ظافر الأزدي - وهي واحدة من أربع قطع - :

ألست ترى حسن المنار وضوءه  
تراه - إذا جن الظلام - مراقبا  
كصب بخود من بنى الزنج سامها  
يرفع من جنح الدجنة أستارا  
له ، مضرما في قلب فانوسه نارا  
وصالا وقد أبدى - لترغب - دينارا

وقال ابن النبيه :

جذا في الصيام مئذنة الجا  
خلتها والفانوس اذ رفعته  
مع والليل مسبل أذياله  
صائدا واقفا لصيد الغزاه

وقال ابن تفتويه :

نصبوا لواء في السحور وأوقدوا  
فكأنه سبابة قد قسمت  
في رأسه نارا لمن يترصد  
ذهبا وقامت في الدجى تتشهد

وقال شهاب الدين بن يعقوب :

رأيت المنار وجنح الظلام  
وحلق في الجو فانوسه  
فقلت « المحلق » قد شب في  
وخلت المنار وفانوسه  
من الجو يسدل أستاره  
فذهب بالنور أقطاره  
ظلام الدجى للقوى ناره  
فتى قام يصرف ديناره

وقال الفقيه بن يحيى السولى :

وليلة ملئت أشداقها لعسا  
ولاح كوكب فانوس السحور على  
حتى كان دجاها - وهو ملتهب -  
واستوضحت غرر من ثغرها شنبا  
انسان مقلتها النجلاء واشتها  
زنجية حملت في كفها ذهبها

وقال الشريف أبو الفضل جعفر :

كأنما الفسانوس في صاريه لما اتقدا

لسواء نصر مذهب في رأس رمح عقدا

وقال مظفر الأعمى - وقد جمع معانى القطع السابقة بعد أن سمعها - :

أرى علما للناس في الصوم ينصب على جامع ابن العاص أعلاه كوكب

وما هو في الظلماء الا كأنه على رمح زنجى سنان مذهب

ومن عجب أن الثريا سماؤها مع الليل تلهى كل من يترقب

فطورا تحيه بباقة نرجس وطورا يحييها بكأس تلهب

وما الليل الا قانص لغزالة بفانوس نار نحوها يتطلب

ولم أر صيادا على البعد قبله اذا قربت منه الغزالة يهرب

### السحور في البلاد الاسلامية :

كان المسلمون في عهد الرسول - عليه الصلاة والسلام - يعرفون جواز

الأكل والشرب بأذان « بلال » ، ويعرفون المنع بأذان « ابن أم مكتوم » وفي

الحديث الشريف : « ان بلالا ينادى بليل فكلوا وشربوا حتى ينادى ابن أم

مكتوم » •

وهذا يشبه ما يعرف لدينا اليوم في الحواضر بمدفع السحور ، ومدفع

الرفع •

وكان التسحير قديما في الديار المصرية بالمسجد الجامع : أن يقول المؤذنون

تسحروا ، وكلوا واشربوا وما أشبه ذلك من الأقوال ، ثم يقرءون قوله -

تعالى - : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من

قبلكم لعلكم تتقون » ويكررون ذلك مرارا •



ثم يقرءون قوله - تعالى : « ان الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا » الى قوله « انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا » ثم يعقبون على ذلك بانشاد القصائد وما اليها .

أما التسخير في غير الجوامع ، فقد كان بالطبلة المعروفة لدينا الآن ، يطوف بها أصحاب الأرباع وغيرهم على البيوت ضارين بها .

وكان أهل الاسكندرية واليمن والمغرب يمارسون التسخير بدق الأبواب على أصحاب البيوت ، والمناداة عليهم : « قوموا كلوا » .

ولا يزال هذا اللون معروفا في الأحياء الوطنية ، ويفخر من ينادى عليهم بذلك !!

وكان أهل الشام يفعلون ذلك بدق الطار ، وضرب الشبابة ، والغناء والرقص واللهو واللعب .

وكان بعض أهل المغرب ينفخون في النفير على منارات المساجد سبع مرات ، ثم ينفخون في الأبواق بعدها سبعا أو خمسا .  
فاذا انقطعوا عن الضرب ، انقطع المتسحرون عن الأكل .

### عيد الفطر

وهو أحد العيدين العظيمين في الاسلام ، ويعد من المواسم الشعرية المرموقة ، وقد أنتج لنا أدبا وشعرا رائعا خصيبا ، ربما فاق ما أنتجه رمضان .  
ولا يعنينا منه الا ما يتصل بموضوع المحاضرة .

فمن ذلك : التهانى الخالصة البريئة من الرفث لخليفة جليل أو سلطان عظيم ، أو رئيس وقور ، كرائية البحترى التى يهنئ فيها المتوكل بصومه المبرور ، وعيده الأغر ، ويصف فيها خروجه للصلاة يحف به جيشه الجرار -

ويشير الى خطبته البليغة ، وهى من أسنى المدائح فى هذا المقام ، وأولها :  
بالبر صمت وأنت أفضل صائم  
وبسنة الله الرضية تظير  
فانعم بعيده الفطر عيدا انه  
يوم أغر من الزمان مشهر

ومن تهان يشوبها شئ من الفتك والمجون كتهنئة الصابى لعضد الدولة  
البويهى :

أسيدنا هنت نعاءك بالفطر  
مضى الصوم قد وفيته حق نسكه  
وللفطر رسم للسرور وسنة  
ولا بد فيه من سماع وقهوة  
نواصل قصفا بين يوم وليلة  
فمر بالذى نبغى وكن عند ظننا  
ووقيت ما تخشاه من نوب الدهر  
ووفاك مكتوب المثوبة والأجر  
ومثلك من أحيا لنا سنة الفطر  
تقضى بها الأوطار من لذة السكر  
دراكا فنستوفى الذى فات فى الشهر  
فلا زلت فينا نافذ النهى والأمر

ويقول الخالدى فى عضد الدولة أيضا :

هنيئا مريئا بأجر أقام  
وفطر تواصل اقباله  
رأى العيد فعلق عيدا له  
وكبر حين رآك الهلال  
وان رمضان أطاح الكئوس  
فواصل يمين كئوس الشمول  
وصوم ترحل عنك ارتحالا  
لأن له بالسعود اتصالا  
وان كان زاد عليه الجمالا  
كفعلك حين رأيت الهلال  
فشوال يأذن فى أن تشالا (١)  
يمينا مقابلة أو شمالا

ومن دعوة صارخة للقصف ، تحمل معنى التشفى من رمضان والشماتة به .

(١) تشال : ترفع فى الأيدى .

يقول أبو نواس :

من سؤال علينا  
جاءنا بالقصف والعز  
أحسن الأشهر لي  
وحيق بامتنان  
ف وتغريد القيان  
أبعدها من رمضان

ويقول أحمد بن يزيد :

ألا فاسقياني من معتقة الخمر  
وان كنتما لم تعلمما فتعلمما  
فلا عذر لي في الصبر أكثر من شهر  
بأن زمان الصوم ليس من العمر

ويقول أبو علي البصير :

إذا شال سؤال عكفنا  
وان هم أطاف بنا عركنا  
على زق وباطية رزوم (١)  
بأيدي الكأس آذان الهموم

ويقول آخر :

أقول لصاحبي وقد بدا لي  
سنسكر سكرة شنعاء جهرا  
هلال الفطر من خلل الغمام  
وتنعر في قفا شهر الصيام

ولعل السرى الرفاء أكثر الشعراء مبالغة في تصوير المرح الذي يفيضه عيد  
الفطر على الصائمين ، ووصف ما يحسونه من لذة الانطلاق والتحرر !! يقول :

ألا عد لي بباطية وكاس  
وذاكرني بشعر أبي فراس  
وغيهم مرهفات البرق فيه  
وقد سلت جيوش الفطر جهرا  
وزع همى بابريق وطاس  
على روض كشعر أبي نواس  
عوار والرياض به كواسي  
على شهر الصيام سيوف باس

(١) ثابتة قائمة على الأرض .

ويقول :

مرحبا بالصبح في الظلماء      وبعذراء من يدي عذراء  
وبسكرين من جفون غزال      ساحر لفظه ، ومن صهباء  
واحمرار الكئوس من كف ساق      صيغ من ماء وردة بيضاء  
ضحكت أوجه اللذاذة بالفطر      ولاحت طوالع السراء  
فكان السرور الف جاننا      منه بالوصل بعد طول الجفاء

ويقول :

تصرم شهر الصوم شهر الزلازل      وشال به شوال شهر الفضائل  
ودارت علينا الراح بين أهلة      تضىء وأغصان رطاب موائل  
فرحنا وفي أجسامنا سحر بابل      يدب وفي أيماننا خمر بابل

وكتب على بن جبلة الى أبي دلف العجلي ، يستسقيه نبذا في يوم عيد  
الفطر ، فوجه اليه بما كفاه ، وبمائتي دينار ، فقال يمدحه :

وأبيض عجلي رأيت غمامه      وأسيفه تقضى على الحدثان  
مددت اليه ذمتي فأجارها      وأغنى يدي عن غيره ولساني  
شربت ورويت النسيديم بماله      وأدركت ثأر الراح في رمضان  
وكان لشوال على ضمانة      فكانت عطاياها ضمانا ضماني

وكتب صاحب يستزير بعض اخوانه في يوم العيد : غدا ياسيدي ينحسر  
الصيام ، وتطيب المدام ، فلا بد أن نقيم أسواق الأئس نافقه ، ونشر أعلام  
السرور خافقه ، فبالفتوة فانها قسم الطراف ، وتفرض حسن الاسعاف ، لما  
بادرتنا ولو على جناح الرياح ، ان شاء الله تعالى !!

من ٩٤ صلوات

وقد اقتفى شوقى - رحمه الله - اثر هؤلاء الجامحين فقال :

رمضان ولى هاتها يا ساقى  
ما كان أكثره على ألافها  
الله غفار الذنوب جميعها  
بالأمس قد كنا سجينى طاعة  
ضحكت الى من السرور ولم تزل  
هات اسقنيها غير ذات عواقب  
صرفا مسلطة الشعاع كأنما  
حمراء أو صفراء ان كريمها  
وحذارٍ من دمها الذكى تريقه  
لا تسقنى الا دهاقا انى  
فلعل سلطان المدامة مخرجى

مشتاقه تسعى الى مشتاق  
وأقله فى طاعة الخساق  
ان كان ثم من الذنوب بواقى  
واليوم من العيىد بالاطلاق  
بنت الكروم كريمة الأعراق  
حتى نراع لصيحة « الصفاق » (١)  
من وجنتيك تدار والأحداق  
كالغيد ، كل مليحة بسداق  
يكفيك يا قاسى دم العشاق  
أسقى بكأس فى الهموم دهاق (٢)  
من عالم لم يحو غير نفاق

من ١٢٤ فقرات

على أنه كان الى جانب هؤلاء المسرفين على أنفسهم بيئة المعتدلين الذين  
يمثلهم بعض الشعراء بقوله :

مضى رمضان محمودا ووافى  
وفى مر الشهور لنا فناء  
علينا الفطر يقدمه السرور  
ونحن نحب أن تبنى الشهور

ثم بيئة النساك التى يمثلها أمثال الحسن البصرى ولا يخلو منها عصر  
ومصر ؛ يقول - رضى الله عنه - وقد نظر الى قوم منصرفين من صلاة الفطر  
يتضحكون ويتعابثون - : الله المستعان ! ! ان كان هؤلاء قد تقرر عندهم أن  
صومهم قد قبل ، فما هذا محل الشاكرين ! وان علموا أنه لم يقبل فما هذا محل  
الخائبين !

(١) الصفاق : الديك .

(٢) الدهاق : الممتلئة .

ومن السهل علينا أن نلاحظ من بعض هذه الشواهد الأدبية : أن الأعياد الإسلامية في العهد العباسي - وبخاصة في عهود الضعف - أخذت تصطبغ بالصبغة الفارسية بغلبة النفوذ الفارسي والمدنية الفارسية المادية ، فلبست الأعياد الإسلامية صورة النيروز والمهرجان •

كما أنه من الانصاف أن نصرح : بأن هذه الروح العارمة التي تطالعا من بعض الأشعار السالفة : انما تمثل بيئة الترف والنعيم في الحواضر الكبرى ، الحافلة بألوان اللهو والعبث والتحلل ، وهي في الوقت نفسه بيئة الشعراء الجامحين الذين يوجدون في كل زمان ، وليسوا هم كل الشعراء ، ومع ذلك فحسبنا منهم أنهم كانوا يصومون ، والله - سبحانه - يقول : « فاتقوا الله ما استطعتم » « ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفار الرحيم » •

وقد اعتذر الله - جل ثناؤه - عنهم وأطمعهم في رحمته ورضوانه بقوله « ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون » •

والحمد لله رب العالمين